﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ٣٨ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ٣٩ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ٤٠﴾ [الذاريات: 38 - 40]

❁ مُناسَبَةُ الآيَاتِ لِما قبلَها:

سُنَّةُ الله تعالى بإهلاك المجرمين ماضيةٌ، فمن اعتَبَر؛ نَجا

لمّا ساقَ اللّه تعالى قصَّة إبراهيم ﷺ مع الملائكة المكْرَمين، وأتبعَها ما تعلَّق بها من إهلاك قوم لوط ﷺ، وأخبر سُبحانه أنَّه تركها عِبرة لِمن يخافون الهلاك مثلهم؛ عَطَف عليها قصَّة موسى ﷺ مع فرعون اللَّعين، وأخبر أنَّ فيها كذلك عِبرةً وعِظة لِمن يعتَبِرُ من أهل الحقِّ، فينجو مِن الهلاك الَّذي حلَّ بفرعونَ ومَلَئِه.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بِسُلۡطَٰنٖ﴾: (سلط) أصلٌ واحدٌ، وهو القوَّةُ والقَهْرُ[1]، ومِنهُ: السُّلطانُ، وهو الحاكِمُ والوالي، وأصْلُ الكَلِمَةِ مِن السَّلاطَةِ، يُقالُ: سَلَّطَهُ عليه، أي: مَكَّنَهُ مِنهُ، وحَكَّمَهُ فيه، ويأتي بِمعنى الخَليفَةِ، والإمامِ، والقاضي[2]، والسُّلْطانُ أيضًا: الوِلايَةُ والحُجَّةُ والبُرْهانُ[3]، وسُمّيَ سُلطانًا؛ لأنَّهُ يُكسِبُ المُستدِلَّ به سُلطةً على مُخالفِه ومُجادِله[4]، والسُّلطانُ المُبينُ معناه هنا: الحُجَّةُ الواضحةُ، وهي المُعجِزاتُ الَّتي أظهرها لفرعونَ مِن انقلابِ العَصا حيَّةً، وما تلاها مِنَ الآياتِ الثَّماني[5].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سلط).
(2) الجوهري، الصحاح، وابن سيده، المحكم، والفيومي، المصباح المنير: (سلط).
(3) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (سلط).
(4) الخليل، العين: (سلط).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 27/ 10.

2) ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾: أصلُ (ولي) يدُلُّ على قُرْبٍ، مِن ذلك: الوَلْيُ، وهو القُرْبُ، يُقالُ: جَلَسَ مِمّا يَليني، أي: يُقارِبُني[1]، والوَلايَةُ: تَوَلّي الأمرِ، فإذا عُدّي (تَوَلَّى) بنفسِه؛ اقتَضى معنى الولاية، وحُصوله في أقرب المواضِع، وإذا عُدّي بـ (عَنْ) لفظًا أو تقديرًا؛ اقتَضى معنى الإعراض وترْك قربه، فمِنَ الأوّل قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: 51]، ومِنَ الثّاني قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾ [آل عمران: 63][2]، والمُرادُ بالتَّولّي في الآيةِ: الإعراضُ والانصرافُ عَنِ المكانِ، وهو مُستعارٌ هنا للمُكابرةِ والعِنادِ.

3) ﴿بِرُكْنِهِۦ﴾: أصلُ (ركن) يدُلُّ على قوّةٍ[3]، فالرُّكونُ: السُّكونُ والاطمئنانُ إلى الشَّيءِ، ويأتي بمعنى المَيْلِ إلى الشَّيءِ وقَصده، ومنه الرُّكْنُ، وهو: الجانبُ الأقوى؛ لأنَّ الشَّخْصَ يَميلُ، ويسكُنُ إليه[4]، وهو أيضًا ما يُعتَمَدُ عليه مِن بناءٍ ونحوه، ويُسمَّى الجَسَدُ رُكْنًا؛ لأنَّهُ عِمادُ عَمَلِ الإنسانِ، وأمّا قولُه سبحانه: ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾؛ فتمثيلٌ لهيئةِ رفضِه دعوةَ موسى بهيئةِ المُنصرفِ عن شخصٍ[5].

4) ﴿سَٰحِرٌ﴾: أصلُ (سحر) يدلُّ على خَدْعٍ وشِبْهِه[6]، وحقيقةُ السِّحْرِ: صَرْفُ الشَّيءِ عَن حَقيقَته إلى غَيْرِه، فكأنَّ السّاحِرَ لَمّا أرى الباطلَ في صورَةِ الحَقِّ، وخَيَّلَ الشَّيءَ على غيرِ حَقيقَته، قَد سَحَرَ الشَّيءَ عَن وجهه، أي: صَرَفَهُ[7]، والسِّحْر: كلُّ ما كان من الشَّيطان فيه مَعونَة، وهو الأُخْذَة الَّتي تأخُذُ العين، ويتخيَّل على غير حَقيقَته، ويجْري مَجْرى التَّمويه والخداع[8]، والجَمعُ: أسحارٌ وسُحورٌ[9]، والمقصود بـ ﴿سَٰحِرٌ﴾ في الآية: مَن يَعمل السِّحْرَ، ويُزاوله.

5) ﴿مَجْنُونٌ﴾: (جنن) أصلٌ واحدٌ، وهو السَّترُ والتَّستُّرُ[10]، يُقال: جَنَّ الشَّيءَ، يَجُنُّه

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ولي).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/ 102.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ركن).
(4) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (ركن).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 27/ 10.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سحر).
(7) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (سحر).
(8) الخليل، العين: (سحر).
(9) الخليل، العين، وابن منظور، لسان العرب، والزّبيدي، تاج العروس، ومجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط: (سحر).
(10) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جن).

جَنًّا؛ إذا ستَرَه، وكلُّ شيء سُتِرَ عنك؛ فقد جُنَّ عنك[1]، والجِنُّ: نوع من العالم، سُمّوا بذلك لاجتنانهم عَن الأبصار[2]، والجِنَّةُ: الجُنونُ، وسُمّي الجُنونُ بذلك؛ لأنَّه يَستُرُ العقلَ، ويُغطّيه، وهو الخَلَلُ العَقْليُّ الَّذي يُصيبُ الإنسان[3]؛ لكونه حائلًا بين النَّفس والعقل[4]، وهو المُرادُ في الآية.

6) ﴿فَنَبَذْنَٰهُمْ﴾: أصلُ (نبذ) يدلُّ عَلى طَرْحٍ وإلقاءٍ[5]، ومنه النَّبْذُ: إلقاءُ الشَّيء، وطرْحُه لِقلَّة الاعتداد به؛ ولذلك يُقالُ: نَبَذْتُهُ نَبْذَ النَّعْل الخَلِق، قال تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [آل عمران: 187]؛ لقلَّة اعتدادهم به[6]، والمَنبوذُ: كلُّ ما يُلتَقَطُ كالمالِ أوِ الطِّفْل الَّذي تُلْقيهِ أُمُّهُ في الطَّريق، ويُطلَقُ النَّبْذُ بِمَعْنى: التَّنحيَةِ والعَزْلِ والإبعاد، يُقالُ: نَبَذْتُهُ في مكانٍ بعيدٍ، أي: عَزَلْتُهُ، ونَحَّيتُهُ[7]، والمراد بالنَّبذِ هنا: الطَّرحُ للشَّيء دونَ اكتراثٍ أو اهتمامٍ به[8].

7) ﴿ٱلْيَمِّ﴾: اليَمُّ في كلامِ العَرَبِ مُرادفُ البَحْرِ، والبَحْرُ في كلامهم يُطلَقُ على الماءِ العَظيم المُستبحَرِ، فالنَّهرُ العظيمُ يُسمَّى بحرًا، قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [فاطر: 12]، فإنَّ اليَمَّ من الأنهارِ، وقيل: لُجَّةُ البَحر، ومعظم البحر، وقيل غير ذلك[9]، وهو هُنا نهرُ النّيلِ الَّذي كان يَشُقُّ مدينَةَ فرعونَ، حيثُ منازلُ بني إسرائيلَ[10].

8) ﴿مُلِيمٌ﴾: أصلُ (لوم) يدُلُّ على العَتبِ والعَذلِ، ومنه: اللَّوْمُ، وهو العَذْلُ[11]، واللَّوْمُ: جمع لائم، والرَّجُلُ مَلومٌ[12]، والمُليمُ: الَّذي يَستَحِقُّ اللَّومَ، واللَّوماءُ: المَلامَةُ، ورَجُلٌ لوَمَةٌ:

(1) الجمل، معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن: (جنن).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (جنن).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (جنن).
(4) الراغب، المفردات: (جنن).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نبذ).
(6) الراغب، المفردات: (نبذ).
(7) الراغب، المفردات: (نبذ).
(8) طنطاوي، التفسير الوسيط: 14/ 24.
(9) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (يمم)، والفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: 5/ 394.
(10) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 74.
(11) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لوم).
(12) الجوهري، الصحاح: (لوم).

يَلومُ النّاسَ[1]، والمراد بالمُليم في الآية: الَّذي يَجْعَلُ غيره لائمًا عليه، أي: وهو مُذْنِبٌ ذَنْبًا يَلومُه اللّه عليه، أي: يُؤاخِذُه به[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

لا كـرامـةَ على اللّه تعالى لِكافر مـسـتـبـدٍّ، ولا اكتِراثَ لهلاكه

اذكر أيُّها النَّبيُّ الكريم قصَّة كليم اللّه تعالى موسى ﷺ مع عدوِّ اللّه تعالى فرعون اللَّعين، حين أرسلنا موسى ﷺ إلى فرعونَ، يدعوهُ إلى توحيد اللّه تعالى وعبادته، وهي آيةٌ وعِبرة لمن أراد أن يعتبِر، فقد أرسلناه إليه بالحُجَج البيِّنات، وبالآيات السّاطعات الدّالّات على صِدْقِ رسالته، وأنَّه رسولٌ من عند اللّه تعالى.

فتقوَّى فرعونُ بأسبابه، واعتزَّ بجنودِه، وأعْرَضَ عن قَبول الحقِّ، وتكبَّر على موسى ﷺ، بل تطاول عليه، فرماهُ بالسِّحر والجنون، فاستوجب الإهلاك؛ إذِ ارتكبَ أبلغ ما يُلام عليه كافرٌ، بقوله للنّاس: أنا ربُّكم الأعلى، وكانت عقوبتُه أليمةً؛ إذ أخذناهُ وجنوده أخْذ عزيزٍ مقتدر، فطرحناهُ في البحر، وأغرقناه في أعماقه، ونَبَذْناهُم جميعًا فيه نَبْذَ إهانةٍ لهم، وعدمَ تقديرٍ أو اكتراثٍ بهم.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى (الواو) في قوله: ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ﴾:

الآيـــات فيما خُلِق في الأرض مـن الـخلائق، وفيما وقع فيها مِن أنباء السَّلف

(الواو) في قوله تعالى: ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ عاطفة الجملةَ بعدها على جملة: ﴿وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾؛ إذ تَجمع بين القصَّتَيْنِ - قصَّةِ موسى وقصَّةِ لوط ﷺ - في تحقيق العِبرة لِمن يَعتبر.

أو هي عاطفة الجملةَ بعدها - (في موسى)، أي: في قصَّة موسى - على جملة: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠﴾ [الذاريات: 20]،

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لوم).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 27/ 10.

أي: في كلٍّ منهما عِبَرٌ وعظاتٌ وآيات لمن كان له قلب يَعي "فيما ذُكِر من قصَّة موسى، ولوط، وقصَّة إبراهيم، وقصَّة هودٍ، وثمودَ، وهذه الأشياء تفسيرٌ لِقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠﴾، أي: الآيات فيما خُلِق في الأرض مِن الخلائق، أو فيما في الأرض مِن أنباء السَّلف وأخبارهم مِن مُكَذِّبي الرُّسل ومصدِّقيهم، أي: في هلاك من هَلك من مُكذِّبيهم، ونَجاة من نجا من مصدِّقيهم آياتٌ لِمن ذُكر"[1].

وعلى عطفِ قصَّة موسى على جملة: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠﴾، تكون قصَّة الخليلِ ولوطٍ ﷺ معترِضة للتَّسليةِ؛ بإبعاد مكذِّبيه ﷺ، وأنَّه مرحومٌ مُنَجًّى مكرَّمٌ بالاصطفاء مثل أبيه إبراهيم صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعليهم"[2].

رسول الله مُنَجًّى مكرَّمٌ بالاصطفاء مثلُ أبيه إبراهيمَ صلوات الله عليهما

عقابُ أعداء الله تعالى واقعٌ، أرضيًّا كان العذابُ أو سماويًّا

سرُّ تقديمِ قصَّة موسى ﷺ على ما بعدَها:

البدءُ بقصَّة موسى قبل قصص عادٍ وثمودَ ونوحٍ ﷺ لكثرة عِبرها، وتَكرار ذكرها في كثيرٍ من سوَر القرآن الكريم؛ تسليةً لأوليائه سبحانه، وتهديدًا لأعدائه؛ فسُنَنُه تعالى في الخلق ماضيَةٌ.

وَأَعْقَبَ قصَّةَ قوم لوطٍ بقصَّة موسى وفرعون؛ لِشُهرة أمر موسى وشريعته، ولِما بينَهما من التَّناسُب في أنَّ العذاب الَّذي عُذِّبت به الأُمَّتان عذابٌ أرضيٌّ؛ إذ عُذِّب قوم لوطٍ بالحجارة الَّتي هي مِن طين، وعُذِّب قومُ فرعون بالغَرَق في البحر، ثُمَّ ذُكر عادٌ وثمودُ، وكان عذابهما سماويًّا؛ إذ عُذِّبَت عادٌ بالرّيح وثمودُ بالصّاعقة[3].

دلالةُ الحذف في قولِه: ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ﴾:

وقَع في قوله: ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 9/ 387.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 14/ 12.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 27/ 9.

حذْفٌ؛ إذ التَّقدير: "وتركنا في قصَّة موسى بإهلاك أعدائه آيةً وحُجَّةً تُبَيِّن لِمَن رآها حَقّيَّةَ دعواه"[1]، فهذا "مِن عطْف جُملةٍ على جملةٍ؛ لِتقدير فِعْل: (تركنا) بعدَ واو العطف، والكلام على حذفِ مُضافٍ، أي: تركنا في قصَّة موسى حين أرسلناهُ إلى فرعون بسُلْطانٍ مُبينٍ، فتولّى ... إلخ، فيكون التَّرك المقدَّر في حرف العطف مرادًا به جَعْلُ الدَّلالة باقية، فكأنَّها متروكة في الموضع لا تنقل منه"[2].

توفيرُ عنايةِ المُتَلقّي على التِقاط إشاراتِ العناصرِ المذكورةِ مِنَ الجُملَة

وفي ذلك الحذفِ توفيرُ عناية المتلقّي على التِقاط العِبرة من جهادِ كليم اللّه تعالى موسى ﷺ، وصبره على كَيْدِ عدوِّ اللّه تعالى فرعون – عليهِ اللَّعنةُ – ففي ذلك التَّضادِّ يبدو وجهُ المفارقةِ الدّاعمُ لهمَّة الرَّسول ﷺ وأتباعه المؤمنين إزاء كَيْدِ كفّار قريش لهم ولدينِهم الحنيفِ.

معنى (في) في قوله: ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ﴾:

الحرف (في) يُفيد الظَّرفيَّة المجازيَّة، والتَّعبير بها في قوله تعالى: ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ﴾ يحثُّ على التَّنقيب والبحث في قصَّة موسى ﷺ، واستخراج العِبَرِ الحاضرة في سياق الكلام منها، ويُلمح إلى أنَّها متضمِّنة لكثير مِن هذه الآيات والعِبَر، فبدأ النَّظْمُ الكريم بها في ذِكر قصص الأنبياء معَ أُممهم، وكانت أكثرَها ورودًا في القرآن الكريم.

قِصَّةُ موسى مع فرعون تَنْطَوي على كثيرٍ من العِبَر والعِظات

دلالةُ التَّصريح باسم ﴿مُوسَىٰٓ﴾ ﷺ:

التَّصريح بذِكْرِ موسى ﷺ دليلُ الرِّضا والمحبَّة، وفيه تشريفٌ له، وتنويهٌ بجهاده الكبير في سبيل الدَّعوة إلى اللّه تعالى وهدمِ صنَم الكُفْر المتمثِّل في فرعون.

في التَّصريح بأسماء الأنبياء والصّالحين تكريمٌ لهم وإشادةٌ بِسيَرهم

نكتةُ تقديم ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ﴾ على الفعل:

في تقديم ذِكر موسى ﷺ على الفعل في جملة: ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ تقريرٌ لجهودِهِ وجهاده، وصبره وتفانيه في

(1) القاسمي، محاسن التأويل: 9/ 42.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 27/ 9.

التَّنويهُ بمكانةِ مـــوسى عليه السلام العليَّة

دعوته المباركة إلى توحيد الله تعالى، وكان يجوزُ تأخير التَّصريحِ باسمِه بعد الفعلِ، فيردُ - في غير القرآن الكريم -: وأرسلنا موسى إلى فرعون... لكن النَّظم الكريم بَنَى التَّركيب على تقديم ذِكره عليه السلام تنويهًا بشرفه، وتكريمًا له.

معنى ﴿إِذْ﴾ في قوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ﴾:

﴿إِذْ﴾ في قوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ﴾ "ظرف متعلِّق بمحذوفٍ هو نعتٌ لـ ﴿ءَايَةَ﴾، أي: كائنة وقتَ أرسلناه"[1]، وهو بمعنى (حين)، أي: والتمس أيُّها المخاطَب الدُّروس، والتقِط العِبر والعِظات ممّا في قصَّة موسى من الآيات، الَّتي أودعناها في قصَّته وقتَ إرسالنا إيّاه إلى فرعون بسُلطان مبينٍ.

الـــدَّعـــوةُ إلى الاعتبار بِما في قصَّة موسى عليه السلام من العِظات

دلالةُ التَّعبير بفعل الإرسال ماضيًا دون البعث:

عبَّر النَّظم الكريم بالإرسال دون البعثِ في قوله تعالى: ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾؛ لأنَّ موسى عليه السلام مرسَلٌ من الله تعالى إلى فرعون، فهو يَحْمِلُ رسالةً فحواها الدَّعوة إلى نَبْذِ الكُفر ولزومِ التَّوحيد: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النازعات: 18 - 19].

لـيـسـت غـايـةُ الـــدّاعـــيـــةِ استثارةَ أعدائه واستـفـزازهـم، بل إلانَـةَ القولِ لـهـم لـعـلَّـهـم يستجيبونَ

والإرسال يقتَضي حمل الرَّسول رسالةً وما يجري مجراها[2]، وكذلك يُستعمل الإرسالُ حيث يُستعمل الرَّسول[3]، والآية الكريمة تنصُّ على ذلك في أثناء جملة ﴿أَرْسَلْنَٰهُ﴾، أمّا البَعْثُ؛ فيَعني الإثارَةَ، ومِنهُ: يَومُ البَعثِ، يَومَ يَبْعَثُنا الله تَعالى مِن القُبورِ[4]، وليس المطلوب هنا استثارةَ فرعون واستفزازَهُ، بل قال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: 44].

(1) الشوكاني، فتح القدير: 5/ 108.
(2) العسكري، معجم الفروق اللغوية، ص: 103.
(3) العسكري، معجم الفروق اللغوية، ص: 103.
(4) المطرّزيّ، المغرب في ترتيب المعرب: (بعث).

وفي صوغ فعل الإرسال في جملة ﴿أَرْسَلْنَهُ﴾ ماضيًا دلالةٌ على تحقُّق بلوغ دعوة موسى عليه السلام فرعونَ لعنه الله تعالى، وتحقُّقِه هو مِن صِدقها، حتّى إذا كذَّب، فحلَّ به الهلاكُ؛ انقطعت أعذارُه، وهكذا قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: 15].

دلالةُ إسنادِ فعل الإرسال إلى ضمير العظَمَة:

في إسناد فعل الإرسال إلى ضمير العظمة، في قوله تعالى: ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾، إيحاءٌ بسُموِّ شأن الرِّسالة، وتعظيم لشأن المُرْسَلِ عليه السلام فكان ذلك يقتضي الإيمان بها، وإكرام مَن حَمَلها؛ تعظيمًا وإكرامًا لمَن أرسله ﷻ، فالعظيمُ إنَّما يُرسِل بعظيم، ممّا يوجب التَّعظيم والتَّكريم.

للدُّعاة الصّادقين إلى الله تعالى حقُّ التَّوقير

معنى ﴿إِلَىٰ﴾ في قوله: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾:

﴿إِلَىٰ﴾ في قوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ حرفٌ دالٌّ على الغايةِ، وهي تُشيرُ إلى أنَّ غاية إرسال الله تعالى موسى عليه السلام كانت دعوةَ فرعون وقومِه إلى البراءةِ مِن الكفر، وتوحيدِ الله تعالى وعبادته.

تخصيصُ الله تعالى فرعونَ برسالةٍ دليلُ بلوغه في الطُّغيان مبلغًا عظيمًا

وفي التَّقييد بـ ﴿إِلَىٰ﴾ هنا معنى الوجهة أيضًا، أي: وجَّهْنا موسى إلى جهة فرعون لدعوته، وفي بيان هذه الغايةِ وتحديد تلك الوجهةِ دلالةٌ على بلوغ فرعون في العتوِّ والطُّغيان ما جعله غايةَ دعوةِ رسولٍ مِن أولي العزم ووجهته، وتخصيصه من قِبَل الله تعالى بدعوةٍ سماويَّة.

دلالةُ التَّصريح بلفظ ﴿فِرْعَوْنَ﴾:

لَم يَذْكُر القرآن الكريم فرعونَ الَّذي أُرسِلَ إليه موسى عليه السلام باسمه العَلَم قطُّ، بل ذكره دائمًا بلقبه هذا؛ لأنَّ الغرض يتعلَّق بظلم الفَراعنَةِ وكُفْرِهم دون أسماءِ شُخوصِهم، ومعلومٌ أنَّ كلَّ مَن حكم مصرَ كافرًا؛ لُقِّب بـ (فرعون)، فـ (فرعون) "لقبٌ، وكلُّ عاتٍ متمرِّد:

كلُّ ظالمٍ عاتٍ مستبدٍّ متكبِّرٍ، هو فرعون

فرعون، والعُتاة: الفراعنة، وقد تَفَرْعَن، وهو ذو فَرْعَنَةٍ، أي: دهاءٍ ونُكْرٍ"[1]، و"الفَرْعَنَةُ: الكِبْرُ والتَّجَبُّر، وفِرعَونُ كُلِّ نَبيٍّ: مَلِكُ دَهْر"[2].

وقد اجتمعت هذه الصِّفات الذَّميمة كلُّها في رجلٍ بلغت به الجُرْأة أن يقول للنّاس: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: 24]، وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: 38]، ففي إيثار ذِكر لقب "فرعون" دون اسمه إلماحٌ إلى ما اجتمع فيه من مفاسد الفَرْعَنة، مِنَ البَغْي والظُّلْم للنّاس ولنفسه، فما أقبحه مِن لقبٍ! وما أعظمَ النَّظمَ الكريم من كلامٍ بليغٍ!

معنى (الباء) في قوله: ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾:

(الباء) في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ ثريَّةُ الدَّلالة، فمن معانيها هنا: الاستعانَةُ، وأنَّ موسى ﷺ استعان على دعوة فرعون، والتَّغلُّب عليه ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾، هو العصا واليدُ وغيرُهما، وأنَّه جاءَهُ "مؤيَّدًا منّا بسلطان مبين، وهو ما أظهرناه على يده مِن معجزاتٍ باهرة وحُجَجٍ واضحة ودلائلَ ظاهرةٍ"[3].

يؤيِّدُ الله تعالى أولياءَه الدّاعين إليه بأسباب النَّصر والتَّمكين

ومنها معنى المُصاحبة والمُلابسَة، على معنى (مع): ﴿إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾، أي: مُصْطَحِبًا معه من الآيات والمعجزات المؤيِّدة ما هو بمنزلة السُّلطان القاهر، الَّذي يَغلب، ويَقهر، ولا يعوقهُ شيء، وفي ذلك دلالةٌ على أنَّه ﷺ لا يتخلّى عن الدُّعاة إلى دينه الحنيف، بل يُؤَيِّدُ أولياءه بأسباب النَّصر والتَّمكين.

دلالةُ التَّعبير بـ (سلطان)، ونكتة تنكيره:

السُّلطانُ في قوله تعالى: ﴿أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ هو الحُجَّة، وهي اليد والعصا[4]، فهي "حجَّة لموسى على حقيقة ما

كلُّ سلطانٍ يمنحه الله تعالى عبدًا من عباده غالبٌ قاهرٌ

(1) الجوهري، الصحاح: (فرعن).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (فرعن).
(3) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 9/ 1102.
(4) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 3/ 377.

يقول، ويدعو إليه"[1]، وهي "معجزاتٌ ظاهرة في نفسِه مُناديَة من شدَّة ظُهورِها بأنَّها معجزة، فكان فيها دلالةٌ واضحة على صِدْقِ وعيدِه، ومع ذلك فلم يَنفَعهُم عِلْمُها"[2].

وفي تنكير (سلطان) مَعنى القوَّة والفخامة والعَظَمة، وفيه دلالةٌ على أنَّ كلَّ سلطانٍ يمنحه الله تعالى عبدًا من عباده؛ فهو غالبٌ قاهرٌ مهما كانت أسبابه في الظّاهر ضئيلَةً ضعيفة؛ لأنَّه سلطانٌ مِن تأييد الله تعالى وتسديده، فكيف لا يكون كذلكَ؟.

نكتة وصف (سلطان) بـ ﴿مُّبِينٍ﴾، وإشارة تنكيره:

إنكارُ الفراعنةِ سلطانَ الأنبياء لا يكون إلّا جحودًا وتمرُّدًا

في وصف السُّلطان بكونه مبينًا دلالة على جلاء الحُجَّة، وثبوت الدَّليل لكلِّ ذي بصيرة على صِدق رسالةِ موسى عليه السلام من عند الله تعالى، وأنَّ إنكار سلطانه ورفضَ قبولِ حُجَّته ما كان إلّا جحودًا وتمرُّدًا من فرعون وملَئِه على حقٍّ ثَبَتَ لَديهم؛ لذلك كانت عاقِبَتُهُم ما ذُكِر بعدُ.

وفي تنكير ﴿مُّبِينٍ﴾ دلالةٌ على قوَّة إبانته عن صِدق رسالته عليه السلام، و"المبين: الفارِقُ، ويَحتَمِلُ أنَّه ما كان معه مِنَ البراهين القاطِعَةِ الَّتي حاجَّ بها فرعون، أو المُعْجِز الفارق بين سِحر السّاحر وأمرِ المرسلين"[3].

بلاغةُ المجاز في صوغ ﴿مُّبِينٍ﴾ اسمَ فاعل:

حُجَجُ الله تعالى المؤيِّدة لرُسُله راسخة في الإبانة، فلا يتأتّى إنكارُها إلّا على وجه العنادِ

الواقع أنَّ السُّلطان يكون بيِّنًا في نفسِه، واضحًا مكشوفًا لذوي البصائر النّافذة والعقول القويمة، غيرَ أنَّ بناء ﴿مُّبِينٍ﴾ على اسم الفاعلِ: مجازٌ عقليٌّ، بنسبة الإبانة إلى هذا السُّلطانِ نفسِه، وكأنَّ له إرادةً في الإبانة، أو أنَّهُ يبيِّن غيرَه، وإنَّما أبان الله تعالى به صِدْقَ موسى عليه السلام.

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 534.
(2) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 18/ 468.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 182.

ففي صيغة اسم الفاعل ﴿مُّبِينٍ﴾ إشارةٌ إلى رسوخ السُّلطان في صفة الإبانة بحيث لا يتأتّى إنكارهُ إلّا عنادًا وتَعَنُّتًا وطغيانًا، وهو ما كان مِن فرعون، فلم يُقِرَّ به إلّا عند موتهِ دون أن يَنْفَعَهُ.

معنى (الفاء) في قوله: ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾:

(الفاء) في قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾ عاطفةٌ ما بعدَها على قوله تعالى: ﴿أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾، والتَّعقيب فيها يوحي بمُسارعة فِرْعون بالإنكار، وعدَمِ التَّريُّث للنَّظر في الأمر، وذلك ديدَنُ أصحاب الهوى المجرَّد مِنَ الإنصاف والبحث عن الحقيقةِ لاتِّباعها، فبِمُجَرَّد إرسال الله تعالى موسى ﷺ؛ حصل التَّولّي من فرعون، ولا بُدَّ من تقدير جُمَلٍ هنا، ويكون التَّقدير: أرسلناه إلى فرعون بسلطانٍ مبين، فأتاه، فَدَعاهُ، فَرفض، وأنكر، وتولّى بِرُكْنِه.

مبادرَةُ الطُّغاة الإنكارَ على المُصْلِحين دون إعمالِ فكرٍ لتحرّي الصَّوابِ

دلالةُ التَّعبير بفعل التَّولّي ماضيًا مضعَّفًا:

في التَّعبير بفعل التَّولّي في قوله تعالى إخبارًا عن فرعونَ حين دعاهُ موسى إلى الحقِّ: ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾ دلالة على أنَّه رفَض الدَّعوة مع التَّكبُّر والإعراض بجانبه، و"تعاظم على موسى بمُلْكِه وجنوده وقوَّته"[1]، وفي التَّولّي والإعراض صورة تشخيصيَّة لحركَةِ جَسَدِه، تَطْوي دليلًا كِنائيًّا على سوء الأدبِ وعدم المبالاة، وهما لازمان غالبًا لرَفْضِ الحقِّ والاستمساك بالباطل.

رفْضُ الحقِّ والإعراضُ عنه سوءُ أدبٍ مِنَ المُعْرِض

وفي صوغ الفعل (تولَّى) ماضيًا إيحاءٌ بفساد القلب والعقل والتَّفكير؛ لأنَّه أخذ قرارَ التَّولّي على وجْهِ المبادَرةِ والمسارعَةِ، وقَطَعَ بالرَّفْضِ حالًا، ولم يتَرَيَّث ليَنْظُرَ في الأمر.

وفي تضعيف عَيْن الفعل (تولَّى) دلالةٌ على أنَّه "كلَّف نفسَه الإعراض بعد ما دعاه عِلْمُها - أي: المعجزاتِ - إلى الإقبال إليها"[2].

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 14/ 24.

(2) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 18/ 469.

بلاغةُ المجاز في فِعْلِ التَّولّي:

في قول الله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾ "تمثيلٌ لهيئة رَفْضِه دعوةَ موسى ﷺ بهيئة المُنْصَرف عن شخص، وبإيرادِ قوله: ﴿بِرُكْنِهِۦ﴾ تمَّ التَّمثيل، ولولاه؛ لكان قولهُ: ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ مجرَّد استعارةٍ"[1]، فصوِّرَ تكذيبُ موسى وجحودُ دعوتهِ - وهي أمور معنويَّة - في صورة الاعتراضِ بعُرض الإنسان والتَّولّي الحسّيِّ، فـ "تَوَلَّى عنه، أي: أعرض، وولَّى هاربًا: أدبَرَ؟"[2].

إخراجُ المعاني في صُوَرِ المَحسوساتِ أعلَقُ بالذِّهْنِ وأقربُ إلى الفَهْمِ

معنى (الباء) في قوله: ﴿بِرُكْنِهِۦ﴾:

(الباء) في قول الله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾ ثريَّة الدَّلالات، فتُعْطي معنى "المصاحبة، والرُّكنُ: إشارةٌ إلى القوم، كأنَّه تعالى يقول: أعرَضَ معَ قَوْمِه"[3]، وتُعْطي الباءُ أيضًا مَعْنى السَّببيَّة، أي: تولَّى؛ "بسبب ما يَرْكَنُ إليه من القوَّة في نفسه، وبأعوانهِ وجنوده؛ كنايةً عن المبالغة في الإعراض"[4]، وتُعْطي معنى الاستعانةِ، أي: أنكر على فرعون مستعينًا ومتحصِّنًا بمَن يَرْكَنُ إليهم، ويتَّخذ منهم حصنًا ركينًا من الملأ الظّالم والجُند الغشوم، وفيها أيضًا معنى "التَّعدية، أي: ثَنَى عِطْفَه"[5].

العناصرُ اللُّغويَّة في النَّظم القرآنيِّ عامرةٌ بالدَّلالات والإشاراتِ

دلالةُ التَّعبير بالرُّكن، ولطيفة الإضافةِ فيه:

الرُّكن "ما يَرْكَنُ إليه الإنسانُ في الملمّات، ويَحْمي ظهرَه به، كما يقول تعالى على لسان لوطٍ مخاطبًا قومَه: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾ [هود: 80][6]، فقوله تعالى هنا: ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾، أي:

الطُّغاةُ يتقوَّونَ بما لا يُغني عنهم شيئًا عند حلولِ الهلاك

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 27/ 10.
(2) الجوهري، الصحاح: (ولي).
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 182.
(4) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 18/ 469، وقال الشهاب: "وكونها للسّببية غير وجيه"، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 97.
(5) طنطاوي، التفسير الوسيط: 14/ 24.
(6) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 14/ 525.

"بِجُموعِه، وأجناده، أو بِقوَّتِه، أو بِجانبِه، أو بِمَيْلِه عن الحقِّ، وعِناده بالكفر، أو بِمالِه؛ لأنَّه يُرْكَنُ إليه، ويُتَقَوَّى به"[1]، ففي التَّعبير بمفردة (الرُّكن) دلالةٌ على استقواءِ فرعون وتقوّيه، وتمنُّعه برُكن حصينٍ - في زَعْمِه - وقوَّة عظيمة يتوقَّع أنَّها تحميه، ولكن هيهات!

والإضافة في (ركنه) تدلُّ على اتِّخاذ فرعون من أسبابِ الرُّكونِ والقوَّة ما قد عُرِف به لِشِدَّة بأسه، وعلى الرُّغم مِن ذلك لم ينفَعْهُ شيئًا، بل أخذه اللّه تعالى وجنودَه، فنبذَهُم في اليمِّ من غيرِ اكتراثٍ.

بلاغةُ الاستعارة في لفظة (رُكْن):

الاعتدادُ بالقوَّةِ غيرُ نافعٍ الظَّلمةَ

إذا كان الرُّكْنُ هو كلَّ ناحية قويَّةٍ من نواحي جبلٍ أو دارٍ أو قصرٍ[2]، وكان يقال لِمُلتَقى الجِدارَيْن: رُكْنٌ؛ لأنَّه الجانبُ الأقوى في البناء، وكلٌّ مِنَ الجِدارَيْن يتقوَّى بالآخر؛ بسبَبِ هذا الالتقاء، فإنَّ الرُّكن في أصله اللُّغويِّ شيءٌ حسّيٌّ.

وعلى ذلك يكون الرُّكنُ في قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾ مستعارًا للقوَّة الَّتي يتحصَّن بها فرعونُ - مهما كان سبَبُها - استعارةً تصريحيَّة؛ إذ شُبِّهت القوَّة - الَّتي يتعزَّز بها فرعون، ويتقوَّى بها - بِرُكنِ البناء الشَّديد، ثُمَّ حُذِفَت قوَّةُ فرعون، وعُبِّر عنها بالرُّكن؛ مبالغةً في اعتقاده أنَّه يملِكُ من القوَّة ما لا يُمكِن أنْ يُؤتى بشرٍّ معها أبدًا.

بلاغةُ الكناية في لفظة (ركنه):

جـزاءُ المُتَكبِّرِ الإهانةُ والتَّحقير

ووراء التَّعبير بـ (ركنه)، وهو جانبُ بدَنِه وعِطْفُه، والتَّولّي به كنايةٌ عن الإعراض[3]، وأنَّه فعلَ ذلكَ؛ "كِبْرًا وخُيَلاء وعُجبًا"[4]، فكان الأخذُ والنَّبذ في اليمِّ بعدَ ذلك أليمًا ومهينًا.

(1) الماوردي، النكت والعيون: 5/ 372.
(2) ابن عباد، المحيط في اللغة: (ركن).
(3) الشهاب، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 97.
(4) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 9/ 1102.

معنى (الواو) في قوله: ﴿وَقَالَ سَٰحِرٌ﴾:

(الواو) في قوله: ﴿وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ﴾ عاطفَةٌ؛ إذْ تجمَعُ على فرعون جريمَتَيْنِ: جريمةَ التَّكذيبِ وسوءِ الأدب، وجريمةَ تشكيكِ النّاسِ في موسى ﷺ؛ وبذلك يتحمَّل وِزْرَيْن: وزرَ ضلاله، ووزرَ إضلاله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٢ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ١٣﴾ [العنكبوت: 12 - 13].

جرائمُ الفراعنةِ عديدةٌ ومتنوِّعة، لازمة ومتعدّية

دلالةُ التَّعبير بفعل القول ماضيًا:

في التَّعبير بالقول في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ﴾ مضاعَفَةٌ للجريمة؛ إذ في القول باللِّسان إشاعةٌ للافتراء، ونَشْرٌ للتَّشويه، وذلك يكون مِن القادة للعامَّة، ومن السّادة للدَّهماء محلَّ اعتبارٍ وتقليد، فتُعاني مِنهُ البلاد والعباد.

مبادرةُ الطُّغاة لتُهْمَةِ المُصْلِحين مِن غير تثبُّتٍ لمَقالاتهم

وفي صوغ (قال) ماضيًا دَعْمٌ للتَّجريم، وتفظيعٌ للخطيئة؛ ذلك أنَّه - لعنه الله تعالى - أشاع الإشاعاتِ حول موسى ﷺ فور دعوتهِ إيّاه، مِن غير تحقيقٍ صادق للوقوفِ على الحقِّ، وفي "هذا القول من اللَّعين مغالَطَةٌ وإيهام لِقومه، فإنَّه يعلم أنَّ ما رآه من الخوارق لا يَتَيَسَّر على يدِ ساحر، ولا يَفعله مَن به جنونٌ"[1].

نكتةُ الحذف في قوله: ﴿سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ﴾:

حَذَفَ النَّظمُ الكريم المسندَ إليه من قوله: ﴿سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ﴾؛ إذ التَّقدير: فتولّى فرعونُ برُكْنه، وقال: موسى ساحر أو مجنون، وبذلك الحذفِ يُنَزِّه النَّظمُ الكريم ساحةَ موسى ﷺ لفظًا كنزاهته واقعًا من تلك التُّهم الكاذبة المفتراة، و"لم يُذكر موسى ظاهرًا أو مضمرًا؛ حمايةً له مَن أن يُقال هذا القول المنكَر فيهِ"[2].

تنزيهُ المظلوم من التُّهَم الكاذبة لفظًا كنزاهتهِ منها واقعًا

(1) الشوكاني، فتح القدير: 5/ 108.
(2) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 14/ 525.

سرُّ التَّعبيرِ بلفظ ﴿سَٰحِرٌ﴾ مادَّةً وصيغَةً:

مبالغة الطُّغاةُ في تشويهِ مُخالفيهم بالتُّهَم الكاذبة مع عِلْمهم ببراءَتهم مِنْها

السّاحر في اللُّغة: هو الَّذي يبلغُ في علم الأشياء غايتَه، وسمّاه ساحرًا بما أتى من الآيات المعجزة، وقومُه إنَّما يَعْرِفون وصْف السِّحر على هذا الوجه، فسمّاه بذلك، وإن أيقَنَ هو أنَّ مثل ذلك الفعلِ لا يكون سحرًا؛ وذلك للتَّمويه على قومه[1].

أو قصدَ فرعونُ أنَّ موسى "يأتي الجِنَّ بسِحْره، أو يقرُب منهم، والجنُّ يَقْرُبون منه، ويقصدونَهُ إن كان هو لا يَقْصِدُهم، فالسّاحر والمجنون كلاهما أمرُه مع الجِنِّ، غير أنَّ السّاحر يأتيهم باختيارِه، والمجنونَ يأتونَهُ مِن غيرِ اختياره، فكأنَّه أراد صيانَةَ كلامه عنِ الكذِبِ، فقال: هو يسحَرُ الجنَّ، أو يُسْحَر، فإن كان ليس عندهَ منه خبر، ولا يقصد ذلك، فالجنُّ يأتونه"[2]، فـ "كأنَّه نسبَ ما ظهر على يديهِ ﷺ مِن الخوارقِ العجيبةِ إلى الجنِّ، وتردَّدَ في أنَّه حصل باختيارِه وسَعْيِه أو بغيرِهما؟"[3].

وفي تنكير ﴿سَٰحِرٌ﴾ إيهامٌ من فرعون بخطورة موسى ﷺ، وأنَّه من صنفٍ منكورٍ محذور من السَّحرة.

المبالَغَةُ في وصف موسى بالسّاحر دعوةٌ لانفِضاض النّاس عن دعوتِهِ

وفي صوغ اللَّعين فرعونَ تهمتَهُ موسى ﷺ بـ ﴿سَٰحِرٌ﴾ اسمَ فاعلٍ إيحاءٌ لأتباعه - لعنه اللّه تعالى - برُسوخ موسى ﷺ - وحاشاهُ - في صَنْعَة السِّحر ودوامه عليها، واكتمال خِبْرَته فيها حتّى نبغَ، وبلغَ إلى الحدِّ الَّذي تَرَوْن، وذلك يدعَمُ خُطورتَهُ المقصودة مِن فرعون - لعنهُ اللّه تعالى - فيحذره النّاس، ولا يُؤْمِنون بدَعْوَته.

معنى ﴿أَوْ﴾ في قوله: ﴿سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾:

﴿أَوْ﴾ في قول فرعون - لعنه اللّه - في موسى ﷺ: ﴿سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 8 559.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 182.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 8/ 142.

تدلُّ على الشَّكِّ أو الإبهام[1]، والتَّمويه على الحاضرين، والتَّشويش على أذهانهم أمرَ موسى ﷺ، وكأنَّ فرعون اللَّعين يقول لِمَلَئِه: لقد بلغ موسى من الخطورة بحيث يَصعُبُ عليَّ وأنا سَيِّدكم تصنيفُه، أيَنْتَمي صنيعُه إلى السِّحر أم إلى الجنون؟ فاحذروه أن يُضِلَّكم عن ديننا، فـ"نزَّل نفسه منزلة الشّاكِّ في أمره؛ تمويهًا على قومه"[2].

الارتباك والتَّناقُض شأن أهل الضَّلال حين يَقهرهم الحقُّ، وتَسقُط منهم الحُجَّة على دَفْعِه

ثُمَّ إنَّه رَماه أوَّلًا بالسِّحر، فقال: ﴿سَٰحِرٌ﴾، ثُمَّ ناقَضَ نفسَهُ كمُناقَضَتِكُم يا كفّار قريشٍ، فقال ﴿مَجۡنُونٌ﴾، أي: لاجتراء موسى عليَّ، مع ما ليَ مِن عظيم المُلك بمثل هذا الَّذي يدعو إليه، ويتهدَّد عليه[3].

وفي العطف بـ ﴿أَوۡ﴾ "إشارة إلى أنَّ هذا القول لم يكن مِن فرعون عن عِلم، وإنَّما هو رميةٌ من رمياتٍ طائشةٍ، يَرمي بها مِن غير حساب أو تقديرٍ، فهو متردِّد في الحكم الَّذي يَحْكُم به على موسى، ولكن لا بُدَّ من أن يُصدرَ حُكْمًا، ويقولَ قولًا، وهذا شأن أهل الضَّلال حين يَقهرهم الحقُّ، وتَسقُط من بين أيديهم الحُجَّة على دفعه"[4].

وتحتمل ﴿أَوۡ﴾ أن تكون بمعنى الواو؛ لأنَّه قد قال ذلك جميعًا، ولم يتردَّد، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ٢٤﴾ [الإنسان: 24][5].

دلالةُ التَّعبير بالجنون نكرةً:

من كبرياء الفراعنةِ عَدُّ مخالفيهم مجانينَ

الجنونُ هو اختلالُ العقل؛ بحيث يمنع جريانَ الأفعالِ والأقوالِ على نَهْجِه القَويم إلّا نادرًا[6]، وعلى الرُّغم مِن حِرْص فرعون على تشويهِ نبيِّ الله تعالى، فقد سَقَط في مستنقَع التَّناقُض الفاضح؛ إذ فضَحَهُ كذبُه وافتراؤُه؛ لأنَّ تهمة السِّحر تقتضي سلامةَ العقل،

(1) الآلوسي، روح المعاني: 14/ 16.
(2) القِنّوجيّ، فتح البيان في مقاصد القرآن: 13/ 205.
(3) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 18/ 469.
(4) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 14/ 525.
(5) الشوكاني، فتح القدير: 5/ 108.
(6) حقي، روح البيان: 9/ 199.

والجنون يقتضي اختلاله، فكيف يَشكُّ - لعنَهُ الله تعالى - في التَّمييز بين العقلِ الرّاشد والعقل المختلِّ، فيجمع بين احتمالين مُتَداخلين في شخصٍ واحد!

وقد يكون من مقصودهِ - لعنه الله تعالى - تسميةُ موسى عليه السلام مجنونًا؛ "لمخاطرته بنفسِه بمُخالفته مع علمه أنَّ همَّته القتل لِمن خالفه في دينه ومُلكه[1].

وفي تنكير ﴿مَجْنُونٌ﴾ إيحاءٌ منه - لعنه الله - ببلوغ موسى عليه السلام في الجنون مبلغًا منكورًا خطيرًا؛ وذلك ليحذرَه النّاس.

سرُّ تقديمِ وصف ﴿سَاحِرٌ﴾ على ﴿مَجْنُونٌ﴾:

قدَّم فرعون - لعنه الله تعالى - احتمال تهمة موسى عليه السلام بالسِّحر على تُهمته بالجنون؛ وذلك لِشُيوع السِّحر في تلك البيئة الشَّيطانيَّة الخبيثة، ولأنَّ الإتيان بالأفعال العجيبة مِن عَمَل السَّحرة عندهم أقربُ، والسّاحر عليه أقدر من المجنونِ.

للفراعنةِ أساليبُ كثيرةٌ في التَّمويه على العامَّة وتضليلِهم

ولمّا كان الَّذي جاء به موسى من آياتٍ خوارقَ قد فاق حدودَ العَجَب إلى حدود الاستحالةِ، وعَلِم فرعونُ بِصدق موسى عليه السلام في أنَّه رسول من عند الله تعالى؛ بادر لعنه الله تعالى بتوجيه العقول إلى ما يُمكِن تصديقُه في موسى عليه السلام مِن وصفه بالبراعة في السِّحر.

ثُمَّ تدارك فرعون أنَّ براعة موسى عليه السلام في السِّحر قد تُؤَهِّله للقيادة والزَّعامة؛ لأنَّ السَّحَرَة عندهم مرفوعو المنزلةِ، فيَتبَعه النّاس أيضًا، فانْتَكَس - لعنه الله - إلى اتِّهامه بالجنون؛ ليُفْقِدَه إعجاب النّاس، ويُبعِده من أن يكون مظنَّة الأسوة والإمامة، وإن كان في ميدان السِّحر.

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 9/ 388.

معنى (الفاء) في قوله: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ﴾:

(الفاء) في ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ﴾ من قول الله تعالى: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ عاطفةٌ تدلُّ على التَّعقيبِ، تدلُّ على فوريَّة أخْذِه تعالى فرعونَ وجنودَه، وعدم إمهالِهم أو إهمالهم، وإن كانت دعوة موسى عليه السلام قد استمرَّت فيهم عددَ سنين، فإنَّ حلولَ الهلاك ونَبْذَهم في اليمِّ قد طَوَى ذلك الزَّمنَ، وطوى آثارَها كأن لم تكنْ، وهذا من عطاء (الفاء) في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ﴾.

حلولُ الهلاك بالفراعنةِ يَطوي آثارَهم كأن لم تَكُن

دلالةُ التَّعبير بفعل الأخذ ماضيًا:

الأخذ في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ هو أخْذُ غضَبٍ من الله تعالى[1]، "وأخْذُ الله سبحانه لا يكون إلّا حيث تَقَعُ نِقَمُهُ، ويَنزِل بلاؤه، مثل قوله تعالى لفرعون: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ٢٥﴾ [النازعات: 25][2].

حَقارَةُ الفَراعِنَة وهوانُهم على الله تعالى

وفي التَّعبير بأخذه عز وجل دلالةٌ على هوانِ فرعون على الله تعالى، وضآلة رُكنِه الَّذي كان يَظنُّه ركينًا، فها هو وجنودُه معه شيءٌ ضعيفٌ ضئيل لا يُعجز الله عز وجل.

دلالةُ إسناد الأخذِ إلى ضمير العظمة:

في إسناد فعل الأخذ إلى ضمير العظمة في قوله: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ﴾ إيحاء بأنَّه "أخْذُ غضبٍ وقهرٍ بعظمتنا، بما استدرجناه به، وأوهنّاه به من العذاب"[3]، وفي ذلك الأخذ كنايةٌ عن ضآلة حالِ فرعون - لعنه الله تعالى - وضآلة رُكْنِه إزاءَ قوَّةِ أخْذةِ الله عز وجل، وشدَّة انتقامه منهم، فإنَّه تعالى إذا أخذ بالغضَبِ؛ فإنَّ أخْذَه أليم شديدٌ.

أخْذُ الله تعالى إذا أخذَ بالغَضَبِ، أليمٌ شديدٌ

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 536.
(2) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 14/ 526.
(3) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 18/ 469.

بيانُ مرجعِ ضَمير المفعولِ في ﴿فَأَخَذْنَٰهُ﴾:

الـفـراعِـنَـةُ مَبْغوضونَ عِندَ الله تعالى

ضمير المفعول في جملة ﴿فَأَخَذْنَٰهُ﴾ يرجع إلى ﴿فِرْعَوْنَ﴾ المذكورِ قبلُ في جملة: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾، وفي طيّهِ في ضميرٍ إيحاءٌ ببُغضه، وكراهةِ سوقه باسمه، كذلك في هذا الضَّمير اتِّساق مع دلالة التَّركيب على ضآلته، وصِغَرِه، وحَقارته، وعدم الاكتراث لهلاكه، لعنهُ اللّه تعالى.

معنى (الواو) في قوله: ﴿وَجُنُودَهُۥ﴾:

أسبـاب إهـلاك الطُّغاةِ على الله تعالى يسيرةٌ

(الواو) في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ﴾ عاطفة؛ إذ تجمَعُ جنودَ فرعون معه - لعنهم اللّه تعالى - في الأخذ اليَسير على الرُّغم مِن كثرة عَددهم وعُددهم إلى الإهلاك الكبير، وأنَّهم جميعًا من الضَّآلة، بحيث أخَذَهم ﷻ أخذًا يسيرًا، وأهلكهم بالإغراق إهلاكًا سريعًا؛ إذ هي عَصًا ضَرَبَت، فَشُقَّ البحر، ودَخل المشؤومُ، فأُطْبِق عليه بهذا اليُسْرِ العجيبِ.

دلالةُ التَّعبير بالجنود، وإشارةُ الإضافةِ فيه:

يُغري الطُّغاةَ بالجرأة على الحقِّ ما أمدَّهم اللّه تعالى به من أسباب القوَّة

في التَّعبير بمفردة الجنود في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ﴾ دلالةٌ على كونهم جيشًا مُنَظَّمًا، مكتمِلَ الإمكانات، ولم يكونوا حَفْنَةً مِنَ المقاتلين أو المحاربين الَّذين لا انضباطَ لصفوفهم ولا نظامَ، ممّا أغرى فرعونُ بِضَمان النَّصر على موسى عليه السلام وأهلِ الإيمان معه، فأخْذُهُم اليسيرُ - على الرُّغم مِن تلك القوَّة المَهيبة - كناية عن عَظمته تعالى، وهولِ انتقامه حين يحينُ أجَلُ الطُّغاة.

وتشير الإضافةُ في (جنوده) ونسبتُهم إلى فرعون إلى أنَّهم جنودُه هو، ويقاتلون عنه هو.

معنى (الفاء) في جملة ﴿فَنَبَذْنَٰهُمْ﴾:

(الفاء) في قوله تعالى: ﴿فَنَبَذْنَٰهُمْ﴾ عاطفة على ﴿فَأَخَذْنَٰهُ﴾،

وهي دالَّةٌ على فوريَّة النَّبْذ للأخذ، ففيها كنايةٌ عن السُّرعة الخاطفة الَّتي باغتت فرعون وجنوده، وهم يحسَبون أنَّهم في مأمن من الهلاك.

سـرعـةُ إهـلاك فرعون وجنده

دلالةُ التَّعبير بفعل النَّبذ ماضيًا:

هـوانُ الطُّغـاةِ على الله تعالى

في التَّعبير بمفردة (النَّبذ) في جملة: ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ﴾ معاني الاستهانةِ والاحتقار، وعدم الاكتراث، أي: "ألقيناهم في البحر، فغرَّقْناهم فيه"[1]، و"طرحْناهم طرْحَ مُسْتَهين بهم مستخِفٍّ لهم، كما تُطرح الحَصَيات"[2]، ففيه "دلالة عَلى غايةِ عِظمِ شأنِ القدرةِ الرَّبّانيَّةِ، ونهايةِ قَمأة فرعون وقومه"[3].

وفيه دلالة على بُغض الله تعالى إيّاهم، وعلى حقارتهم وعدم كرامتِهم عِنْدَهُ ﷻ، ومن ذلك المعنى بسبيل: وصف الشَّخص الكريه بالمَنْبوذ، أي: الطَّريد المقيت.

وفي صَوْغِ فعل النَّبذ ماضيًا اتِّساقٌ مع عطاءِ الفاء وسُرْعَتِها؛ إذِ الماضي يَقطع بتحقُّق الوقوع وسرعةِ الفراغ منه.

دلالةُ إسناد النَّبذ إلى ضمير العظمة في ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ﴾:

شـدَّةُ مـا لاقـاهُ الـطُّـغـاةُ من العذاب الحسّيِّ والنَّفْسيِّ

في إسناد فعل النَّبذ إلى ضمير العظمة في قوله تعالى: ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ﴾ دلالة على شدَّة ما لاقَوْهُ من العذاب النَّفسيِّ إلى ما عانَوْه من العذاب الحسّيِّ؛ لأنَّ نابِذَهم ومُلقيهم في اليمِّ تلك القوَّة القاهرة، الَّتي يُعبَّر عنها بضمير العظيم ﷻ في قوله: ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ﴾.

بيانُ مرجع ضمير المفعول في ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ﴾:

ضمير المفعول في قوله: ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ﴾ يرجع إلى ﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ﴾ جميعًا، وكأنَّهم طووا طيًّا، ورُميَ بهم رَميًا، منبوذين مبغوضين في مهاوي الهلاك والضَّياع.

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 536.
(2) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 18/ 469.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 8/ 142.

معنى ﴿فِي﴾ في قوله: ﴿فِي ٱلۡيَمِّ﴾:

﴿فِي﴾ في قوله: ﴿فِي ٱلۡيَمِّ﴾ تُفْصِح عن أنَّهم أُغرقوا في أعماق اليمِّ، وغُيِّبوا في ظلماته، وفي ذلك تصويرٌ دقيق لِما حدَث لهم، فإنَّهم نزلوا إلى الأعماق يَمشون على الطَّريق اليَبَس الَّذي ضربه موسى بعصاه لِعُبور المؤمنين، فأطبق الماءُ على فرعون وجنوده، وغُيِّبوا فيه إلى غير رجعَةٍ، إلّا بدن فرعون؛ ليكون عبرةً، كما قال الله تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ﴾ [يونس: 92].

الهلاكُ يَطْوي الطُّغاةَ، ويلفُّهم في ظلماته حين يُنْزِلُه الله تعالى بهم

نكتةُ التَّعبير بـ ﴿ٱلۡيَمِّ﴾:

﴿ٱلۡيَمِّ﴾ هو البَحْرُ، وقيل: لُجَّةُ البَحر، قال الله تعالى: ﴿فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ [القصص: 7][1]، و﴿ٱلۡيَمِّ﴾ المقصود هنا: نهرُ مصرَ، وهو النّيل[2].

مِن جُند الله تعالى ما قد يكون نجاةً لأوليائه، هلاكًا لأعْدائِه

وفي إيثار النَّظم الكريم التَّعبيرَ بـ ﴿ٱلۡيَمِّ﴾، في قوله تعالى: ﴿فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ﴾؛ لإغراقِ فِرعَون وجنودِه، تذكيرٌ باليمِّ الَّذي كان سببَ نجاةِ موسى ﷺ رضيعًا في أضعفِ حالاته، وأنَّه هو اليمُّ الَّذي صار سببًا في هلاك فرعون - لعنه الله تعالى - وهو في أقوى حالاته.

على أنَّ اليمَّ الذي كان سببًا في نجاة موسى ﷺ هو نهر النّيل، أمّا الذي كان سببًا في هلاك فرعون - لعنه الله تعالى - فهو بحرُ القَلْزَم - البحر الأحمر - وفي ذلك دلالة على صحَّة إطلاق اليمِّ على النَّهر والبَحْرِ معًا.

معنى (الواو) في قوله: ﴿وَهُوَ مُلِيمٞ﴾:

(الواو) في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُلِيمٞ﴾ حاليَّة، أي: إنَّ الله تعالى نَبَذَهُ في اليمِّ، ملومًا آثمًا مجرمًا، وهكذا يُختم للطُّغاة بما يسوؤهم أن يُبْعَثوا عليه يوم القيامة، "فإنَّ الكريم قد أجرى عادتَه بِكَرَمِه أنَّه مَن عاش على شيء؛ ماتَ عليه، ومَن مات على شيء؛ بُعث عليه"[3].

من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بُعث عليه

(1) الفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: 5/ 394.
(2) مقاتل، تفسير مقاتل بن سليمان: 4/ 132.
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/ 389.

دلالةُ بناء قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ على تقديم ضمير الرّفع:

يحمِلُ الطُّغاةُ من ضلال أتباعِهم أعظمَه

في بناء الجملة الحاليَّة ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ على تقديم الضمير (هو)، والقذف به في صَدْرِها تنبيهٌ مجلجِل إلى فظاعة إثْم فرعون وجُرمه، وكأنَّه هو وحده الآثم المجرِمُ المُلام، وكذلك كلُّ فرعون يَحْمِلُ من الذَّنب أعظمَه، ومن الجُرم أكثرَه؛ لأنَّه القدوة السَّيِّئة الَّتي شجَّعت على ارتكابه، وتولَّت كبره.

دلالة سرِّ التَّعبير بوصف ﴿مُلِيمٌ﴾ اسمَ فاعلٍ:

اختارَ فرعونُ لنفسه طريق الملامِ والذَّمِّ

المُليمُ هو الَّذي فعل ما يُلام عليه مِن الكفر والعناد[1]، وأشدُّ الكُفر وأوجب الملام ادِّعاءُ اللَّعين فرعونَ الألوهيَّةَ، وفي صياغتِه اسمَ فاعل إسنادُ اللَّوم إلى فرعونَ نفسِه، كأنَّه يلوم نفسَه، وذلك بتسبُّبه في لومها بارتكاب جرائمه تلك، فـ"في الإسناد تَجَوُّزٌ على حدِّ ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١﴾ [الحاقة: 21]، يُقال: ألامَ الرَّجلُ: فعَلَ ما يستحِقُّ عليه اللَّوم، واللَّوم: العَذْلُ، تقول: لامه على كذا، من باب "قال"، ولَوَمَهُ أيضًا، فهو ملوم، واللّائمة: الملامة"[2].

توجيهُ جَعْل ﴿مُلِيمٌ﴾ وصفًا لفرعون الكافرِ، وليونُس النَّبيِّ:

موجِباتُ اللَّوم تختلف بحسب اختلافِ مقاديرِ اللَّوْمِ

جاء في الذِّكر الحكيم التَّعبير بـ ﴿مُلِيمٌ﴾ وصفًا لفرعونَ الكافرِ، وليونُس النَّبيِّ الصّالح عليه السلام، وتوجيه ذلك أنَّ "موجباتِ اللَّوم تختَلِفُ، وعلى حسب اختلافها تختلف مقاديرُ اللَّوم، فراكِبُ الكبيرة ملومٌ على مقدارها، وكذلك مقترِف الصَّغيرة، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ﴾ [هود: 59]، ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ [طه: 121]؛ لأنَّ الكبيرة والصَّغيرة يجمَعُهما اسمُ العصيان، كما يَجْمَعُهُما اسمُ القَبيح والسَّيِّئة"[3].

(1) القاسمي، محاسن التأويل: 9/ 42.
(2) القِنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن: 13/ 206.
(3) الزمخشري، الكشاف: 4/ 403.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التَّولّي والانصراف والإعراض:

الإعراض التَّولّي بالجانب وعدمُ الإقبال، والتَّولي الإعراضُ مُطْلقًا

الإعراض: أن تولّيَ الشَّيء عُرضك، أي: جانبك، ولا تقبل عليه، فيدلُّ على الرَّفض القلبيِّ والابتعاد الإراديِّ، مع موقف سلبيٍّ من المُعْرض، كقوله سبحانه: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: 199]، أي: تجاهَلْهُم، واترُكِ الرَّدَّ عليهم.

والتَّولي: الإعراض مطلقًا، ولا يلزمه الإدبارُ، والإعراضُ: الانصراف عن الشَّيء بالقلب، قال بعضهم: المُعرِض والمتولّي يشتركان في ترك السُّلوك، إلّا أنَّ المُعرض أسوأ حالًا، وغاية الذَّمِّ: الجمعُ بينَهُما، وقال المُناويُّ: "التَّولّي: الإعراض المُتَكَلَّف بما يُفْهِمُه: التَّفَعُّل"[1].

والانصراف: مصدر انصرفَ، أي: ذهب، ومضى، وأعرض: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟﴾ [التوبة: 127]، وانصرف إليه: تحوَّل، وانصرف عنه: ابتعد، وتركَه، وتحوَّل عنه[2]، فدلالته تعني الذَّهاب والانتهاءَ من شيءٍ، دون دلالةٍ على رفضٍ أو فرارٍ، كقولنا: انصرف القومُ من الصَّلاة، فهو أعمُّ وأخفُّ دلالةً من سابقاتها.

والجامع الدَّلاليُّ بين هذه الألفاظ هو التَّرك والابتعاد عن الشَّيء بعد مواجهته، لكن تختَلِفُ درجَتُه وسبَبُه.

النَّبذ والطَّرح والرَّمي:

النَّبذ تركٌ باستهانة، والطَّرح إلقاءٌ وإبعاد، والرَّمي إلقاء بقوَّة وقصد

النَّبذ: إلقاء الشَّيء استهانةً به، وإظهارًا للاستغناء عنه، فيدلُّ بذلك على التَّرك المقرونِ بالاحتقار أو الإهمال، ويُستعمل غالبًا في السّياق المعنويِّ، كقوله: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [آل عمران: 187]، أي: تركوهُ باستِخفافٍ.

(1) إبراهيم بن سعد، معجم التوحيد: 1/ 168.

(2) أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة: (صرف).

وأمّا الطَّرح؛ فيدلُّ على الإلقاء والإبعاد، وقد يكون عن قصدٍ أو ضرورةٍ، ولا يلزَمُ دلالته على الاحتقارِ.

وأمّا الرَّمي؛ فيدلُّ على الإلقاء بسرعة وقوَّة، ويكونُ فيه غالبًا قصدُ إصابةٍ أو توجيهٍ[1].

والجامِعُ بين هذه المفردات هو الإلقاءُ والتَّرك، ويختلف بحسَبِ القَصْدِ والحالِ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (نبذ/ طرح/ رمي)، وأبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص: 530.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والخمسون،
سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 57 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-650-27-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 57 : المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-650-27-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4331956 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"